الحسين قدوة المصلحين

بقلم : الاستاذ عزالدين آل يسن

اذا كان الى الصدق مرد أشتات الفضائل و كرائم الخيم فان الجود بالنفس من اسمى مظاهر الصدق الذي لا يلبس ثوباً من رياء . ولا يحتمل شوباً من سمعته .

واذا لم يكن من الموت بد ، ولا من شراكه وحبائله مهرب ، فالصفقة الرابحة ان تشترى بهذا العمر المحدود فخراً عالياً وذكراً ممدوداً .

كذلك الشهداء الذين آثروا ليبيعوا انفسهم الغالية بثمن غال هو خير الأمة وسؤددها وعزها وافلاتها من الأسر ونجاتها من ظلم الظالمين .

سيد هؤلاء الشهداء المصلحين ، سيد شباب اهل الجنة ابو عبدالله الحسين بن علي عليه السلام .

لقد رأى ـ سلام الله عليه ـ سفينة الدين تضطرب بها الامواج فيتولى قيادها ربان ليس من كفايات القيادة في شيء قليل او كثير ، رأى كرسي النبي (ص) يستأثر به ويتربع عليه فتى فاجر عاهر متجاهر قد طبعته بيئته وتربيته على شمائل ينبو بها الخلق ، ويصطدم بها الدين ، ويضيق بها صدره الرحيب .

وها هو ذا مقبل على دنياه ، حائد عن السنن ، منصاع الى صبواته وشهواته ، مشغول بقروده وفهوده ، ينقض بأعماله المنكرة هدى الكتاب والسنة ، وينكر بملء فيه امر الحساب والعقاب امامه بيت المال تنصب فيه سيول الجباية والخراج والجزية فيشرق بالصفراء والبيضاء تسعى اليه من كل فج فينفق منها

- ما شاء في تلبية مجانته ، واشباع غروره ، وتمكين الأمر لنفسه ولحاشيته .

واستتب له الملك ، واستدرج طائفة من الناس بالجاه والمنصب والمال ، واخذ جمهور المسلمين بالقوة والعنت فدانوا له مكرهين محفظين .

وأراد ابوعبدالله على ان يبايع يزيد ، فيبيع ريحانة رسول الله نفسه لهذا الفاسق المارق الذي آثر هواه ، وخرج من عز طاعة الله الى ذل معصيته ، وأصغى الى نوازعه واطماعه فتطاول على ابن بنت رسول الله وبقيته في الناس ، ومن حوله صنايع اميه من عفاة المال من اشباه الرجال يظاهرون عدوه وعدو جده رسول الله ، ويتجنون على دينه مبتدعين ومخترعين ويجترؤون على مقام ابيه مجاهرين غير متذممين ، ويزيد يعلم أن الحسين قبلة الناس ، اليه تشخص الأبصار ، ونحوه تهفو القلوب فهو سيد معاصريه من المسلمين غير منازع ، وهو وارث الحسن وعلي والنبي ، فكيف السبيل الى الحيلولة بينه وبين الناس ؟

السبيل الى ذلك ان يبايعه الحسين راضياً او مكرها فيأمن السرب بعده ، وينام هادىء النفس قرير العين . وها هو ذا يستدرجه عن طريق عماله وولاته ليمد له بالبيعة يدا صاغرة زعزعها الجبن وارعشها الوعيد ، وكفكف من شرتها صرامة السلطان المستظهر بالسلاح والعتاد ، ولكنه لا يضرب الا في حديد بارد ولا ينفخ الا في رماد .

فما بالحسين حرص على حياة مهينة يحياها ذليل النفس ملوي الجيد ، في ظل امية وفي اسر يزيد ، وكيف يحلو كأس الحياة مرنقة بالذل ، مشوبة بالصغار ، ملوثة بالعار والنار ، يأبى الله له ذلك ونفس بين جنبيه تنبض والعزة والمضاء والعزيمة

وأنف يسمو على اشياء هذه الحياء بالشمم والاباء والكرامة . أيضن بحياته حرصاً على ايام معدودة هو منها في سجن مرهق وعذاب شديد ، تاركاً دين الله كرة يلعب بها طاغية بني أمية كيف يريد ؟ كيف هذا وقد تعب هو وابوه وجده وأسرته في بناء هذا الدين واقامة دعائمه وصروحه حتى استوى ساقه وامتد رواقه وآذن بالثبات والرسوخ والخلود أليس هو من هذه المدرسة المباركة التي نشأ الدين وترعرع في احضانها ، وربي وتعوهد بعينها ، وسقي وغذي من لبانها واستقام ونهض باسلات سيوفها واطراف خرصانها ؟ هو ابن علي وسليل فاطمة وفرخ النبي وسبطه وريحانته وجلدة ما بين عينيه ووارث علمه وهو منهم وهم منه ، طينة طابت وحجور طهرت ونبات زكا ، وآنى أكله طيباً مباركا .

هذا علي ابوه ما برح يصاول اعداء الله ورسوله بساعده المفتول وصارمه المصقول ويشري نفسه لرسول الله كراراً لا يفر ومقداماً لا يحجم وضرغاماً لا يهاب .

فما عجب ان ينهض في الحسين روح ابيه ، فتشب الثورة في نفسه شرارة لم تلبث ان اندلعت حماها فاستشرى اوارها فاذا هي عزيمة ماضية لا تنكفيء وجذوة ملتهبة لا تنطفيء .

خرج الحسين على يزيد وابن زياد لا يلتمس ملكا ولا يطمع في جاه ولا يطمح الى زعامة ، وانما خرج على الباطل المزهو والشر المجند ، ليثأر للدين المجفو والحق المجرد ، فجلجل بصرخته الداوية بين عجيج الباطل ليدرأ عن أمة محمد واتباع محمد ذلاً كاد يلحق بهم من حيث يشعرون او لا يشعرون .

وهكذا نزل (ع) للدين عن نفسه واهله وصحبه راضياً مختاراً .

أن العناية الالهيـــة هي التي هيأت حسيناً وآل حسين وصحب حسين لهذا اليوم فلولاهم لدرست معالم الدين ولمحقها يزيد وشركاؤه فلم يتركوا لها عيناً ولا اثرا . وقد كان الحسين يعرف آله وصحبه ويعتد بهم ويعلم ثباتهم في الهيجاء وصبرهم على المكاره وصدق بلائهم عند اللقاء وحرصهم على الشهادة بين يديه او قل بين يدي الدين الماثل في شخصه .

اراد الحسين ان يعذر الى آله وصحبه ـ وقد علم ان القوم غير تاركيه حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفه ـ فجعلهم في حل من بيعته ليدرأ عنهم الموت ، فأبوا الا ان يفدوه بأنفسهم واموالهم واهليهم قائلين : « نقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك » .

هكذا كان اصحابه عليه السلام يستمعون الوحي من بيانه ، فيستمدون القوة من جنانه ، فيأمنون به من فزع ، ويكثرون به من قلة ، ويقوون به من ضعف ، فيتقدمون الى اعداء الله ورسوله عامرة نفوسهم بحرارة اليقين والايمان .

لقد علموا ان الحسين لم يخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وانما خرج يطلب الاصلاح في امة جده أليس هو القائل : « اريد ان آمر بالمعروف وانهى عن المنكر فمن قبلني بقبول الحق فالله اولى بالحق ومن ردّ علي هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين » .

عزم عليه السلام ان يقلم اظفار الباطل ويرفع كلمة الله فلم يجد الى ذلك سبيلا الا ان يقذف بنفسه في مشارع الشهادة ليقدم للدنيا من نفسه مثلا فذاً للتضحية بالنفس حين توصد ابواب الاصلاح الا من طريقها .

كان (ع) قوياً على الاحداث لا يهن ولا يستكين ، بعيد النظر الى ما وراء هذه الدنيا واشيائها واهوائها ، يسمع نداء الحق بين اخباء نفسه فيستجيب للنداء مستصغراً شأن

الحسين ملك الجميع

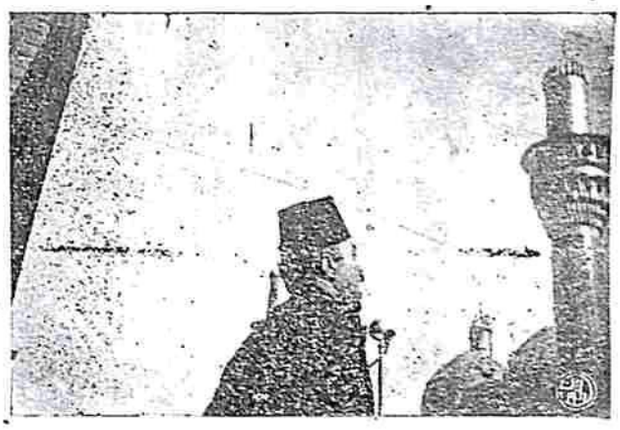

الكلمة القيمة التي ارتجلها الاستاذ الجليل محمد مبروك نافع استاذ التاريخ الاسلامي بدار العلوم بالقاهرة وكلية اصول الدين بالازهر الشريف والمنتدب استاذاً للتاريخ العربي بدار المعلمين العالية وتاريخ الاديان والفلسفة الاسلامية بدار العلوم العالية ببغداد ، صباح العاشر من محرم لسنة ١٣٦٤ في الروضة الكاظمية المطهرة . وها نحن نقدم للقارىء الكريم بعض ما استطعنا الحصول عليه من النقاط التي تذكرناها مقتضبة من خطابه الذي استغرق ما يقارب الساعة . وهو يتدفق كالسيل المنحدر على السياسة الاموية الهوجاء ازاء آل البيت ، ويفيض قوة ويلتهب حماسا على الوضع الاجتماعي الراهن للعرب والمسلمين ، واليك ما امكننا الحصول عليه من النقاط البارزة في خطابه القيم :— (البيان)

اخواني .. وبني ديني معشر المسلمين ...

« اتوجه والخشوع يملأ جوانحي الى ارواح اولئك الشهداء من آل البيت جميعاً .. الذين فاضت ارواحهم ، وكتبوا في سجل الخلود صفحة لا تمحى ، واثبتوا ان الدار الآخرة خير وابقى ... »

بهذا التعبير افتتح الاستاذ الكبير خطابه .. ثم استمر فقال :

« واتقدم الى روح الامام الاكبر علي بن ابي طالب .. والى روح سيدنا الحسين سبط الرسول .. وابي الشهداء وسيد شباب اهل الجنة ببالغ الخشوع والخضوع والتبجيل »

ثم ذكر بعد هذه المقدمة انه :— « ليس الحسين الذي نجتمع اليوم للاحتفال بذكراه ، ملك احد من المسلمين دون آخر .. ولا طائفة من المسلمين دون اخرى .. وانما هو ملك المسلمين جميعاً ، لانه ابن بنت رسول الله وريحانته . . . » ثم ذهب الاستاذ الى اكثر من هذا فقال : « بل ان الحسين يصح ان يكون ملكا للانسانية جميعاً لانه ضرب مثلا اعلى للمبادىء الخالصة .. ولانه جاد بنفسه في سبيل المبدأ الذي اعتنقه .. والجود بالنفس اقصى غاية

الحياة مستصغراً شأن الموت غير ناظر الى شيء الا الحق الذي امتزج بلحمه ودمه .

يرى انصاره يتخطفهم الموت ، ويستنزل منهم الى الارض كل ساعة فارساً صنديداً ، قد صدق اللقاء واحسن البلاء حتى انحنى فخر عن صهوة جواده مضمخاً بدمائه ، ويرى حرمه يتفجعن ويتصايحن مذعورات مشفقات مما يستقبل سيدهن من الموت — وهو الوزر الذي يلجأ اليه — ومما يستقبلهن من السبي والتشريد وهن عقائل النبوة وحرائر الرسالة .

ينظر عليه السلام كل ذلك وهو يتلوى من شدة الصدى ويقاسي من حر الظمأ ما لا يكون معه بال حاضر ، ولكن الحسين حاضر البال جميع الرأي رابط الجأش تزول الجبال ولا يزول ويلين الحديد ولا يلين ، يستجيب لهذا الصوت الالهي الذي يستعديه على أئمة الضلال واتباعهم فيشد عليهم فاذا هم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف .

لقد عاش عليه السلام حراً ، ومات حراً ، وترك للاجيال تاريخاً هو ملء الدنيا نوراً وملؤها عطراً . عزالدين آل ياسين